مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد 28، العدد 7: 2020.
Journal of University of Babylon for Humanities, Vol.(28), No.(7): 2020.

وسائل الإقناع في خطاب المرأة في شعر الجواهري

صفاء عبيد حسين الحفيظ رائدة مهدي جابر العامري
قسمُ اللغة العربيَّة /كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة /جامعةُ بابل
basic.raada.mahdi@uobabylon.edu.iq

معلومات البحث
تاريخ الاستلام : 14 / 8/ 2020
تاريخ قبول النشر:2 / 9/ 2020
تاريخ النشر: 21 / 10 / 2020

المستخلص:

تحمّل المرأة إشارات وخطابات ذات دلالات رمزية، أيقونة يوظفُ الشاعُر فيها أفكاره، ليكشف عن عمق سطوة الجسد، بوصفه عنصرًا مجليًا للذات في مختلف أنواع الخطاب، سواء أكان الخطاب ذا طابع بيولوجي أم ثقافي.

إذ أن الجسد حاضرًا في مخيال الشاعر، لكونه ذا تماس وتفاعل مع الآخر دائمًا، والمرأة هي الموضوع والقضيَة في آن واحد، التي قيل فيها الكثير حين يعاني الشاعر ألمًا عميقًا، فيظهر ذلك من خلال إشارات يرسلها الجسد، ليكشف عن فتنته بالآخر الشاعر، ففاضت شعرًا ينشد به رغبته في جسد المرأة واشتهاء للعبها من خلال الجسد.

كما تتبع البحثُ الحضور والغياب في جانب خطاب المرأة في شعر الجواهري، على وفق منهجيَّة المُلاحظة، والوصف، والتحليل، للتوصل إلى ملاحظةٍ دقيقة لذلك الحضور والغياب، وتواجد أحدهما من دون الآخر، و معرفة مدى التوازن في الحضور بينهما.

الكلمات الدالة: الخطاب، المرأة، الجسد، الحضور والغياب، الإقناع

Persuasion Strategies in AddressingWomen in Al-Jawahiri's Poetry

Safaa Obaid Al-Hafeedh Ra'ida Mehdi Jaber Al-Amiri
Department of Arabic/ College of Education for Human Sciences / University of Babylon

Abstract:

After a not-so-short tour with Al-Jawahiri in revealing the features of the formation of women's discourse, in order for us to capture the truth of creativity, which the poetic text enjoys according to aesthetic technical criteria, it performed a semantic function that the poet sought to deliver to the recipient, according to his intellectual, cultural and emotional premises, the diversity of the mechanism and the difference The performance in convincing the recipient, who was placed in his hair, and in the midst of that many results emerged, we mentioned part of it at the end of each topic of each chapter, and we can record the results of this tour as far as we approached his hair with transparency and honesty.

The movement of discourse in the poetic achievement of the jeweler, departing from the dominant traditions that reveal a growing movement within the space of the poetic text, which is embodied in the color and significance of the connotations, is depicted to reflect the dimensions of persuasion vision regarding a subject within its relationship to its reality, performing a semantic function, affirming the presence of the woman and her ability to Express her feelings and feelings according to the priority of expression in the ability to manifest and appear; To create an internal system, with a growing creative movement within the poetic text, which is compatible with images of reality and for the woman's body and a desire to her playing through the body.

Key words: discourse, woman, body. attendance and absence,Persuasion

by University of Babylon is licensed under a Journal of University of Babylon for Humanities (JUBH)
Creative Commons Attribution 4.0 International License

المقدمة

لما كان الخطاب يمثل فكراً ووعياً في قالبٍ منظم ذي منابع مختلفة، عبر شفرات ودلالات مشتركة؛ لغرض التواصل والتأثير، التي تحقق أثراً ورؤية معينين، تتيح أنتاج حوار منفتح شعوري واضح يتجانس مع مفاهيم المتلقين، فإنّ ذلك يعني وجود ارتباط نفسي وفكري بالمسألة المطروحة، لا يتأتى إلاّ باقتناع داخلي قوي بتلك المسألة، وبجرأة واضحة في الالتزام بها والتعبير عنها[1]، وتأسيساً على ذلك سننطلق لبيان ما قدمه الجواهري في خطابه من وعي، وبأيّ الآليات ساق الإقناع في خطاب المرأة؟

والخطاب الإقناعي هو خطاب تم بناؤه بقصد الإقناع[2]، أي بقصد التواصل وإضفاء المشروعية في وجه نظر معينة، إن لم يكن القصد إقصاء خطابات منافسة من اجل الهيمنة [3]، كون الخطاب في النصّ الشعري، يعتمد على تقنيات مخصوصة للإقناع، التي لا تختص بمحور من دون غيره، بل هي اختيار الشاعر لقناعاته وطريقة بنائه، بما يناسب سياق الخطاب الشعري التي ترد فيه.

ولاشك في أن خطاب المرأة جنس خاص من الخطاب المتكئ على الانفعالات، التي تلقي بثقلها على العواطف، فيبنى على فرضية خلافية، يعرض عن طريقها الشاعر دعواه، عبر سلسة من الأقوال المترابطة تترابطا منطقيا، قاصدا إلى إقناع الآخر بسلوكه تجاه قضية معينة[4]، ليحمل سمات معينة، يسعى عن طريقها إلى إحداث تأثير في المتلقي، فالعلاقة بينهما علاقة جزء بكل؛ وذلك لكون هدف كل نصّ، إقناع المخاطب أو التأثير في قناعته، كلّما كان الخطاب متناسبا مع ثقافة المتلقي ومستواه الاجتماعي، كان التوقّع أن يؤدي وظيفته الإقناعية المنشودة.

فالخطاب الشعري نوع من أنواع الخطاب الإنساني، الذي تختلف مظاهره وطبيعته ودرجته من نصّ إلى آخر ومن خطاب إلى خطاب، وذلك لكونه مجموعة من العلائق الدلالية القائمة بين الجمل والأقوال، ومصاغة صياغة جمالية، هدفها في الأساس التأثير في المتلقي.

ولم تقتصر فكرة أبعاد الخطاب في النصّ الشعري على الجانب الجمالي فحسب من دون آلية الإقناع، وذلك للتأثير في المتلقي من أجل تغيير مواقفه وتجاوز سلوكه ضمن رؤية الشاعر، التي لابد أن تقوم على قوة عالية ومتنوعة تستدرجه، بما يجعله يذعن للمقاصد المطلوبة، لما يمتلكه من خصوصية في استثمار آلية التأثير والإقناع، الذي يؤدي دوراً هاماً في حمل النفوس على التسليم للأفكار طوعاً. وهذا يعني أن الخطاب يحمل إبعاداً ذهنية تجريدية، وأخرى عقلية وحسية، لدفع المتلقي إلى العمل والانجاز، فالإقناع بوصفه آلية من آليات الخطاب، ومنظومة رؤيوية ذات بعد تواصلي، وملمح من ملامح الأفكار والآراء في المجتمع، عن طريق الاعتماد على حجج مختلفة، تظهر بصور تختلف باختلاف الرؤى، التي يريدها الشاعر صاحب الخطاب.

قد يتمحور الخطاب في النصّ الشعري عن طريق هذا الفصل لكثير من التساؤلات، التي تكون فحواها الآليات والاستراتيجيات التي يبنى عليها الخطاب، وهل يتضمن المنجز الشعري للجواهري أبعاداً إقناعية ؟ وما أسرار الإقناع والتأثير في شعره؟

لأنّ الإقناع يتمثل بجزئيات الخطاب، فلابد من معرفة تشكيل هذه الجزئيات، وذلك عن طريق النظر للمكونات أو للمعطيات الداخلية والخارجية، التي أسهمت في تشكيل الخطاب.

والمكونات الخارجية يعمل في ضوء الظروف الخارجية المساهمة في إنتاج النص، والمتحكمة في توجيه الخطاب، التي تختلف باختلاف المعطيات، وتمزج فيه خصائص السياق الاجتماعية والثقافية أو ما يعرف بسياق كتابة النص(5).

أما المكونات الداخلية فإنها تتمثل باللغة المحبوكة والأسلوب، الذي ينظم فيه الشاعر أفكاره وصوره وأدلته، ويعتمد مخاطبة العاطفة وخلق انفعالات نفسية معيّنة عن طريق إيهام المتلقي واستدراجه عاطفيا(6).

فالإقناع مكوّن أساس من آليات الخطاب الشعري، ويمكن أن تكشف الهوية في المنجز الشعري للشاعر وتحدد طبيعة.

فلابد أن نقتفي أثر الإقناع وتقنياته المستعملة في خطاب الجواهري الشعري؛ لتكون عونا لنا في الكشف عن طبيعة خطابه للمرأة، وما إستراتيجية الإقناع المتبعة فيه، إذ إنها غاية نسعى إلى بلوغها، لكون الإقناع علامة بارزة، تحيل إلى طبيعة المنظومة الفكرية والثقافية للمتكلم، مثلما تحيل على طبيعة نظرته للمُخاطَب.

فالجواهري يمتلك الثقافة الواسعة–لاسيما – في ما يتعلق بالمجال الذي يدور ضمن الإقناع، كالمجال الفكري والثقافي والاجتماعي، فقد وظّف ذلك من أجل انسجام خطاب المرأة في شعره من جهة، وتوجيهه وجهة مؤثرة من جهة أخرى. وقد ظهر هذا الإقناع في المنجز الشعري بمجموعة ظواهر خطابيّة، بانت ملامحُها على سطح بِنية خطاب المرأة، بوصفها وسيلة تواصلٍ إقناعيٍّ، ومن أهمِّ هذه الظواهر الخطابيّة: ظاهرة تلوين الخطاب، وتنامي الخطاب، كلتاهما يحملن الأثر النفسيّ والثقافي لخطاب المرأة في شعر الجواهري، وهما ما سنحاولُ دراستَها، وبيان تأثيرها في تواصل عمليّة الإقناع في خطاب المرأة عند شعر الجواهري.

تلوين الخطاب بعدا إقناعياً

شكّلت ظاهرة تلوين الخطاب متّسعاً خطابيّاً إقناعيا، وذلك للتواصل مع المتلقّي بأكثر من لونٍ خطابيٍّ؛ لكل مرحلة بمعطيات مختلفة، يدخل فيها الجانب الثقافي والتطور الفكري والبعد المجتمعي. بهدف توظيف وسائل إقناعٍ، قد يكون من شأنها التأثيرُ في المتلقّي وإقناعه (7)، فتشكل هذه الخطوة حاجة طريق يتبع فيها ما نصبو إليه من تلوين الخطاب عند الشاعر كي يؤثر في متلقيه.

يقوم الخطاب الشعري على آليات الإثارة والتأثير، محاولاً جذب المتلقي إلى قضية معيّنة، عبر التأثير العقلي والعاطفي، وذلك بالإسناد على البراهين لدعم العملية الخطابية، التي يرسمها الشاعر على وفق إستراتيجية إقناعية موجهة إلى المتلقي، قد تنفذ إلى منابعه الفكريَّة والشعوريَّة، وذلك بالتركيز على مبدأ الإثارة والتأثير، لتحّرك النفس، فتذعن وتنقاد له رغبة أو رهبة، لجعله بعداً إقناعياً في متلقيه(8).

فالشاعر على معرفة بطبيعة وعي جمهوره والثقافة الاجتماعية لمتلقي شعره، إذ إنه يسعى لتحقيق مقاصد وغايات مخصوصة، يتوقف نجاحها على طبيعة العملية الخطابية الإقناعية بين الشاعر/المُخاطِب، والمتلقي/المُخاطَب، ومدى مقدرة الأول للتأثير في الثاني، إذ لا يخلو خطاب الجواهري في النصّ الشعري من جمال شعري ذي تأثير مباشر للمتلقي، نابع من تسخير أفكار الشاعر للمرأة، لتؤدي وظيفتها التواصلية التأثيرية، التي تدل على مقاصد مضمرة، لتخفيف نبرة التسلط المهيمن.

عن طريق الصياغة الجمالية، التي تجعل المتلقي يتقبل الرأي. وهذه العملية التأثيرية هي نوع من الإقناع، آخذاً بنظر الاعتبار طبيعة المتلقي ونوع ثقافته، وهذا يُعدُّ جزءا ضروريا في العملية الإقناعية[9]، مستثمراً القدرة الشعرية الجمالية للتأثير والإقناع.

فخطاب المرأة لدى الجواهري يجسد هذه الإستراتيجية، التي وظفّها للإقناع من خلال اتجاهات ومنطلقات التفكير، التي تستوعب تداعيات الواقع الجمعي كلها، الذي يحمل همّ المرأة وجعلها في تلك البيئة.

وتظل العديد من الأسئلة مطروحة، كيف يجعل الشاعر سامعه يتأثر بألفاظه؟ وما الدور الذي يلعبه الإقناع في ذلك؟ وما حدود هذا الدور في الاستثمار الانفعالي والنفسي؟

لقد ارتبط المنجز الشعري للجواهري بمُعادلةٍ إقناعيّةٍ مُنتجةٍ لخطابٍ إقناعي، يشتدّ ويقوى، إذا كانت الإبعاد متكاملة، ويضعفُ بضعفِ تحجّم الإبعاد الإقناعية، فالشاعر لا يفكر في نفسه ولا في مجتمعه، بل يذهب تفكيره إلى أبعد من ذلك وأجلّ، فهو يفكر في المرأة، وما مضى، وما لحقها، وما سيأتي لاحقا، فخطاب الشاعر خطاب عقلاني ومنطقي حمله من الواقع في أكثر من موضع، ولتوضيح ذلك سندلل بنماذج يذكرها الشاعر في منجزه الشعري .

التكرار و الإقناع

التكرار وسيلة بلاغية مهمة، يقصد إليها المحتج لتقوية حجته، ((فيقولون إن الشيء إن تكرر تقرر))[10]، فيعد التكرار أداة للإقناع والتأثير في المتلقي، ولا يمكن الجزم والتسليم بقوة إقناع الحجّة، وذلك لما له من وقع في القلوب وأثر بليغ في الأسماع، ومراعاة ذلك يُعدُّ جزءا ضروريا في العملية الإقناعية[11]، فكلّما كان الشاعر حاذقا في صياغة أفكاره ضمن رؤية محبوكة، كانت فرصته في إقناع المقابل أكبر.

وتبين الشاعرة (نازك الملائكة) التكرار أحد الأضواء اللاشعورية، التي يسلطها الشاعر على أعماق العبارة فيضيئها، لأنها جزء من الهندسة العاطفية للعبارة، يحاول فيه الشاعر إن ينظم كلماته ليقيم أساساً عاطفيا من نوع ما، ويخضع التكرار لقانون التوازن اللفظي، ولا بد للشاعر إن يعي الهندسة اللفظية الدقيقة وهو يدخل التكرار على بعض مناطقها[12] الذي في أكثر من موضع، يدعم الطاقة الإقناعية، لما له من وقع في القلوب. بدءاً من عتبته، بوصف بنية إقناعية متصلة بلوحات متنوعة، فلا يمكن فصلها عن قضيتها، لما تحمله من أبعاد إقناعية، تشكل علامات نسقية إقناعية توضح حقيقة العلاقة المتوترة بين الشاعر/ والسلطة المهيمنة، فتعمّق بذلك رؤية صاحبها في خطابه الشعري.

وبناءً على هذه القيمةِ الإقناعيّةِ، نجد مرتكزات عتبةُ قصيدة (سلمى على المسرح)، تتضمن البعد الإقناعي للخطاب عن طريق تلوين الخطاب، الذي يفصح عنه النصّ وما يحمله من بُعدٍ إيحائيّ، ومَلمَحٍ دلاليّ مُثقَلٍ بحمُولاتِه، لخلق بوادر التأثير الأولى في المتلقي، مستهدفاً بذلك إيجاد حلقةِ تواصُلٍ من شأنها جذبه، واستدراجه إلى خطابه الإقناعيّ. وهو يفتخر بالمرأة ويحاول إقناع الآخر، بما يغدقه عليها من صفات، فانه يحرص على الإثارة والتأثير في الآخر بهدف الإقناع، إذ يقول فيها:[من الخفيف المجزوء]

حبَّ ((سلمى)) فتىً رأى كلَّ ما يُشتهي فحَـــبِّ
شـــــــاعرٌ بالحياة لا يَزدَهيه سِــوى الطَرَب
أنتِ ((سلمى)) إلـــــى الحيـــــاةِ وأفراحها سَبَب
أنتِ ((سلمى)) أجَلُّ من ألـــــفِ عبدٍ لألف رَبّ

تتخلّـــى الهمـــوم إذ تتجلّـين والكُـــرَب
أثقلوا ظهرَها كـــــما عضَّ بالغارب القَتَب[13]

نلحظ أن الجواهري قد أكسب خطابه دلالات متنوعة، وكان لحضور مفردة (سلمى) المهيمنة على النصّ، تشكيل خطاب تلويني، هدفه الإثارة والتأثير إلى جانب البعد الإقناعي في عين متلقيه، عن طريق وضع الاسم بين قوسين، فزاد من أثارة المتلقي، فضلاً عن ذلك قد أحدث الاسم داخل الجمل الشعرية رونقاً، ذا نسق اكسب النصّ أبعادا دلالية، تجلّت في تلوين الخطاب من قبل الشاعر: (حب (سلمى) فتى)، التي تكونبلغة خطابية تفترضها رؤيته الإقناعية، وبدأ بالفعل (حب) ويُنتهي به في البيت نفسه أيضا، ليكون تكرار(حّب) هو موضوعة النصّ، بعد الاستغراق في الوصف والتصوير على أساس تهيئة السامع وتشويقه واستحضار الأشياء أمامه، ثم يأتي تكرار(انتِ(سلمى) إلى الحياة، أنتِ (سلمى) أجلُ...)، وهو تكرار لفظي يؤدي إلى الترسيخ والإقناع، وذلك لان الكلمات مرتبطة بمعان معّينة، محاولة من الجواهري لخلق مرآة عاكسة للمتلقي، ألزمه حق التمعن والوقوف، وتوثيق الأحداث، لتحقق التّأثير المباشر والتّفاعل المستمر مع المتلقي، عن طريق توظّيف أفعالٍ ذي حركة مستمرة ودائمة وهي: (تتخلى، تتجلين، أثقلوا...).

فضلا عن ذلك كان أسم (سلمى) قد تدسُّ بمعاني متنوعة إلى تلك الجمل الشعرية، فتنوع خطاب الشاعر وتلوّنه، فمن (سلمى) التي يقصد بها العشيقة، ويتجلى فيها فعل الحب، إلى (سلمى) في البيت الثالث التي تمنح الحياة النجاة وتكسبها الخلاص للإنسانية. وبذلك يكون للمرأة حضور واضح يطغى على التسلط المهيمن، ويجعل النصّ الشعري يحمل نغماً موسيقياً، يتكرر في إذن المتلقي، ويترك أثرا رابطاً بين النصّ والمتلقي.

فالشاعر يكرر الكلمات في الأبيات إلى جانب الإيقاع، الذي يشكله التكرار، من توكيد وإلحاح، مستثمراً في ذلك طاقة اللفظ في التعبير، ولم يتأتَ هذا التأثير، الذي بناه الشاعر ووزعه على النصّ الشعري إلا بجعله بعداً إقناعياً في متلقيه، وقد تعمده الجواهري استجابة لنوازع نفسية، لمواقف ومعطيات، انعكاساً مرحلية مختلفة، يدخل فيها الجانب الثقافي والتطور الفكري والبعد المجتمعي، ويتوجها بالإقناع.

وفي قصيدة (يا أم عوف)، يوظف رمزية المرأة بوصفها عنصراً فاعلاً في المجتمع فضلاً عن كونه عاطفياً كي يتم من تكرار خطاب اسم بعينه (أم عوف) في بث آرائه، إذ يقول فيها:[من البسيط التام]

يا((أمَّ عوفٍ)) عجيباتٌ ليالـــــينا يُدينَ أهواءَنا القُصوى ويُقصينا
يا((أمَّ عوفٍ)) وما يُدريكِ ماخَبَأتْ لنا المقاديرُ من عُقبى ويُدريـــنا
أنى وكيـــف سيـُرخي من أعنَّتنا تَطـوافُنا.. ومتى تُلـقى مَراسينا
يا((أمَّ عوفٍ)) بِلَوْح الغيب موعدُنا هنا، وعندك، أضيافاً، تَلاقِـــينا
لم يبرحِ العامُ تِلوَ العـــام يَقذِفُنا فـي كـلَّ يومٍ بمَوماةٍ ويرمـيـنا
(...)
يا((أمَّ عوفٍ)) وقد طال العناءُ بنا آهٍ على حقبةٍ كانت تعانيـــنا
آهٍ على أيمنٍ من ربعِ صبوتـنا كنـّا نجولُ به غرَّاً ميامـيـنا
يا((أمَّ عوفٍ)) أأوهـامٌ مضلّلةٌ أم الأساطيرُ يُبدعنَ الأساطـــينا
مِنْ عهد ((آدم)) والأقوامُ مزجيةٌ –خوفَ الشرورِ– الضّحايا والقرابينا
أكُلّـَما ابتدعَ الإنسـان آلهـةً للخير صيَّرَها شـرٌ ثعابـينا!؟[14]

لقد استثمر الجواهري هذه الرمزية مع عنصر التكرار في بث سكونه الخطابي، الذي جاء متدرجاً ليفتتح الأبيات بخطاب مباشر للمرأة، يهدف بها إلى استمالتها، ولبث شكواه عبر الأثر الانفعالي لتكرار كلمة (يا أمِّ عوفٍ)، التي تحمل مدلولاً له قوة وإثارة عاطفية يبين حالة الحزن والتحسر والأسى تهب النصّ شحنات تؤثر في نفس المتلقي، وتثير مشاعره وأحاسيسه بوساطة المكوّن العاطفي، الذي يمنح المتكلم القدرة على إثارة عاطفته بهدف إقناعه.

إذ وظف في النصّ الشعري الصفات:(أهواءنا القصوى، أضيافاً، أأوهامٌ مضلَلةٌ، ثعابينا)، لغرض استثارة المتلقي بعرض واقع المجتمع الذي يعيشون فيه، فالشاعر لا ينقل خبرا جديدا للمتلقي، فكلاهما عالم بحال المجتمع الذي يعيشون فيه، ولكنه جعل من ذلك العرض وسيلة للتبليغ ودعوة لتغيير الواقع السائد، فالشاعر بتكراره يؤكد دور المرأة وأحقيتها في ذهن المتلقي، ليبث رؤية في معالجة اجتماعية، فلم تكن (أمَّ عوف) عشيقة للشاعر، بل أراد الجواهري أنْ يضيء عن طريقها جانبا مختلفا للمرأة المناضلة المؤثرة في المجتمع.

فبنية التكرار ظاهرة واضحة في شعر الجواهري وذلك بتعدّد مظاهرها، فجاء بتكرار يزيد من ربْط الأداء بالمضمون الشعريّ، فضلاً عمّا ينبعث عنه من طاقة إقناعية، لها الأثر الملحوظ المرتبط بعضه ببعض، إذ أثرت على المتلقي عن طريق إقناعه، وأفاد من ذلك التأكيد، لترسيخ الفكرة في ذهن المتلقي بعد تبليغه وإفهامه، مما يجعل القصيدة وحدة بنائية متكاملة.

ونلحظ لونا آخرا، لتلوين الخطاب في قصيدة (يا أم سعد)، إذ يقول فيها:[من الرجز المجزوء]

يا أمِّ سعد والليالي قُلَّبُ ... عجيبةٌ وما تخبّي أعجـــــبُ
تجمعنا كما تلاقي سارباً ... إلى الغديرِ رَبربٌ وربـــربُ
فهي تذرّينا كأنّا لم يَكُــن ... لنا مراحٌ عندها ومَلـــــعب
يا أمِّ سعد والليالي فــلكٌ ... لكل ما يُشـــــرقُ فيه مغربُ
في أمسِ كاليومِ حوانا منزلٌ ... منكِ لنا أهــلٌ به ومرحــبُ
راق به منكِ الصفاءُ والندى ... والسَّمَرُ الحُــلو الشهيُّ الطَّيبُ
فهل تَرينَهُ غداً يَجمــعُتنا ... أم نحنُ من دونِ تلاقٍ نَذهبُ
يا أمِّ سعدٍ إن تناءتْ دارُنا ... فالذكرياتُ بينـــــنا تُقَـــرَّبُ(15)

وظف الجواهري لفظة (أمَّ سعد) وجعل منهما عوضا عن الشيء المفقود، الذي تغيب في حياته فأتي بالكلمات:(تلاقينا ساربا، تذرينا،غدا يجمعنا، الذكريات...)، ذي إيعاد ثقافية فاعلة بأنظمتها المتشابكة، من أجل تشكيل فضاء للمعنى في إطار السياق الكلي للنصّ، فيتضح هذا التقابل بين الأشياء ليجعلنا نقف أمام حقيقة عاشها الجواهري، ومرحلة شهد فيها تغيراً للمعطيات المجتمعية وللعادات المهيمنة آن ذاك.

إذ إن ما لمحناه في النصّ الشعري بذكر المرأة /أمَّ سعد تلوين خطابي، يضيء جانباً تتعاضد فيه الرؤية والمعالجة الاجتماعية والهدف، الذي يؤدي إلى ولادة الذات الثائرة المناضلة الباحثة عن بدائل ممكنة، تخلصه من تلك المعاناة، التي تواجهها، فإنّ الألم الذي تشهده المرأة في الخطاب الشعري، يمتد أفقيا إلى الخارج، وإنّ المعاناة التي تبث في هذا السياق، تتموضع داخليا أو دائريًا، يمثل ضيقا نفسيا حول المصير، فاستثمر الشاعر هذه الرمزية مع عنصر التكرار، لتشكل بعدا اقناعيا في متلقيه. فخروج الشاعر بالتلوين الخطابي، ينم عن قدرة متميزة لابتكار المعاني في الوصول إلى الصور، التي يصورها في الخطاب الشعري للمرأة، مما يجعل الصلة وثيقة بين النصّ والمتلقي، لها دور التأثير والإقناع في الخطاب الشعري.

إنّ تكرار الكلمات لا تقوم فقط على تكرار اللفظة في السياق، وإنما ما تركته الألفاظ من أثر انفعالي في نفس المتلقي[16] ؛وبهذا يعكس جانباً عن الموقف النفسي والانفعالي، الذي يبينه تلوين الخطاب إلى جانب محور التكرار، وما يحمله في ثناياه من دلالات نفسية، وانفعالية مختلفة تفرضها طبيعة السياق، ليكون إحدى الأدوات الجمالية والفنية، التي تساعد على أن يقدم الشاعر نفسه فداء، وذلك ليؤكد انتماءَه ودفاعه عن المرأة.

إذ إن تكرار الألفاظ كأن معناها واحد، تكرار مؤثر، ومثير، يؤدّي إلى توكيد المعنى، كونه مؤثرا يتجلى بإلحاح الجواهري على الغرض الذي رام التعبير عنه وإيصاله إلى المتلقي، الأمر الذي يؤدي قبول تلك الفكرة والاقتناع بها، كما نراه في قصيدة(غيداء)، إذ يقول فيها: [من الكامل]

غيداءُ: عندك للصبَّا مَهْدُ صدرٌ تربّع (دستَه) نَهْـــــــدُ
غضرٌ يدغدغُ من براعِمه ويرجُّ منه المعبـــد البـــَرْد
غيداء تعشَق فيــكِ جارحةٌ أُخرى، ويَحْسُدُ معصمــاً زنــد
جُنَّ الهوى بكِ، والتوتْ عُقَدٌ واعتزَّ فيــك بضدِّ الضَّـــــد
غيداء: إذا يتطأطَر القـــدُ وإذِ الشُموعُ يَشُبُها خـــــد
وإذِ الشفَاهُ يضمُهـــن فَمٌ حُلوٌ، وإذ يتـــنفَسُ الـــورْد
غيداءُ: ألفاظٌ مرادِفـــةٌ للعاشقينَ الغيُ والرُشْـــــد
غيداءُ: أهلُ الحب مجمَرةٌ منها يضوع لعالَمٍ نـــــــدَ
فُطِروا على وثنيَةٍ فهُـــمُ حُدْبٌ على أصنـــامِهِمْ حشد[17]

يشير النصّ الشعري إلى الحرص المتين، الذي ينمّ عن حركة للخطاب، وذلك لما يحمل من موقف مقنع، ذي أداة جمالية منسجمة، تخدم الموضوع الشعري ، فقد جاء الجواهري بمفردة غيداء/ المرأة الصديقة، ليعالج قضية اجتماعية أخرى، تجتمع فيها اللذة والألم والحياة والموت والابتسامة، ليؤدي بذلك وظيفة، ذات بعد إقناعي، تكشف عن الإلحاح أو التأكيد؛ ليكسب خطابه بمعاني متنوعة، يتجلى فيها الحب والعاطفة، وهذا نوع من أنواع تلوين الخطاب بوساطة التكرار، لهدف استقطاب متلقيه والتأثير بهم، والذي يسعى إليه الجواهري للكشف عما يدور في ذهنه وإبراز أفكاره، التي أصبحت هي الأخرى صورة من صور التكرار، فخطاب الشاعر للمرأة/ غيداء، يبدو واضحا في أنفاسه الشعرية كلها، وكأنه يكرر في كل نمط تكراري على اختلاف أشكاله وألوانه.

وفي قصيدة (في وداع أم نجاح)، التي يقول فيها:

ها نحنُ أمّونةٌ نننـــأى ونفــترقُ والليلُ يمكثُ والتسهـيدُ والـــــحرقُ
والصبحُ يمكثُ لا وجهٌ يُصَبّحُني به، ولا بسماتٌ منـــكِ تنطـــــلقُ
أمونةٌ والضميرُ الحيُّ ضـــاربةٌ عروقُهُ والضميرُ الميتُ يُعتـــــــــرقُ
خمسٌ وخمسونَ عشناها مراوحةً نبزٌ مَـــن سُعِدوا فيهـــا، ومـــن شُنِقــوا
يا حلوةَ المجتلى والنفسُ ضائعةٌ والأمرُ مختلطٌ و الجو مختـــــــنقُ
ويا أضحوكةَ ثغرٍ والدنى عبسٌ ويا صفيةَ طبعٍ والمنى رنـــــــــقُ
ويا صبوراً على البلوى تُلــطّفها حتى تعــودَ كبنـتِ الحـــانِ تَصطَـــفِقُ
منّي عليكِ سلامٌ لا يقومُ بـــه ســنُّ اليراعِ ولا يــقوى بــه الـــــورقُ
كأن نفسي إذ تخشين وحشتهـا إنســانُ عيـنٍ بمرأى أختـــها غَـــرق
يا رحمة اللهِ غادِ المؤمنين بــه وخلّ أمونةٌ صنواً لمن ســـبـــــــقوا[18]

يضيء الجواهري نصّه بدلالات متنوعة على جانب مختلف ومهم من عمره (خمس وخمسين) وهذا عمر متقدم يتضمن قلقاً على المستقبل، لأن العمر مضى، وذلك بحضور مفردة (أمونه)، ليسعى عن طريقها تشكّل خطاب تلويني، هدفه التأثير واستمالة المتلقي إلى جانب البعد الإقناعي، بحسب طبيعته وثقافته، ويبرز في النص موضع آخر ورؤية أخرى يكرر فيها الجواهري أمونة/ المرأة الزوجة الحبيبة، ثلاث مرات بقصد التنبيه، إذ يصور الشاعر المعنى في صورتين مختلفتين: (ننأى ونفترقُ، والضميرُ الحيُ والضميرُ الميتُ)، موجها لها الخطاب بأسلوب النداء(يا)، ليحاول عبر ذلك إظهار مناقبها للنصح التي قدّمتها له، وتأكيدها أمام المتلقي، وإثبات مشروعيتها، وقد أعطت النصّ غاية وإبعاداً دلالية في تلوين الخطاب، الذي ينطلق عن طريقه عملية الإقناع من الشاعر نفسه، إذ إنهيكون مؤمنا بالقضية، التي يدافع عنها بتسخير الوسائل المختلفة في التعبير، ليجعل منه خطاباً ذا بعد إقناعي في متلقيه.

فإنّ تغير أسماء النساء/المرأة، يعدّ نوعاً من تلوين الخطاب بشكله العام إلى جانب المحور الخاص بالتكرار، فيكسب بعداً إقناعياً، مع ذلك قد تلوّن خطابه عندما تغيّرت مسميات المرأة كما مّر ذكره سابقا، أو كما هو واضحٌ في القصائد:(الأحاديث شجون، سلمى(وردة بين أشواك)، يا بنت رسطاليس، باريس، شهرزاد، ذكريات، تنويمة الجياع، كفارة وندم، خلفت غاشية الخنوع، وخط المشيب، الشيخ والغابة، كايجولا، يا دجلة الخير، يا نديمي، يومان على فارنا، مناجاة، دلفت إليك، عبدة الجبوري)* ، التي تكون متأصلة في نسيج الخطاب ولها دور في سبك الخطاب وتماسكه، لما *لها من فائدة في إقناع المتلقي وذلك من طريق بعض الألفاظ، التي أظهرت اهتمام الجواهري للمرأة.*

فالخطاب الشعري لدى الجواهري بشكل عام، يتّسم بأنه يعتمد على التكرار آلية من آلياته، وسمة راسخة يستعمله في كل الموضوعات التي يتناولها في شعره [19]. لما يكتسبه من أهمية مضاعفة؛ كونه يتبنّى موضوع المرأة ويدافع عن قضاياها بمنطق الإقناع ومحاولاً التأثير في المتلقي.

إنّ تكرار الشاعر للمعنى يخضع لرؤيتهُ الفكرية تذكيراً به، وتثبيتاً له في الذهن، وتقريراً له في النفس، التي كانت تلح على بعض الأعراف البيئية لتغييرها أو استبدالها، لهذا نراه كان يستسلم لتداعيات بعض صور التكرار بشكل لافت للنظر، لتنبيه المتلقي عليه، أي إنّ الفكرة نفسها تتكرر ولكن بألفاظ أخرى، وذلك بالتعامل مع عنصر المرأة بطريقتين تكرار اسم الأنثى بشكل مباشر(سلمى، غيداء، أمونة...) أو عن طريق إضافة (يا) النداء مع اسم المرأة، فتغيِر هذه المسميات تعدّ نوعاً من تلوين الخطاب بشكله العام إلى جانب المحور الخاص (بالتكرار) بإكسابه بعداً إقناعياً، يجعل من هذه البداية نقطة مركزية، تجتمع فيها صور التكرار الأخرى، أو أن يجعل موضوع القصيدة عنواناً لتكرار البداية، فيبني عليها تصوراته ومنطلقاتهِ الفكرية، التي فيها قوة التأثير والفاعلية على المتلقي، وبذلك يوفر تكرار البداية طاقة إقناعية تهدف استقطاب متلقيه والتأثير بهم؛ لأن ذلك يساعد على ترسيخ الفكرة في الأذهان. *لما ينهض به من دور إقناعي، لا يكمن في الألفاظ والتراكيب المكررة فحسب، بل في الأثر الناتج لتكرار اللفظ، ليؤدي وظيفة إقناعية، تخدم النصّ الشعري وتمنحه القوة والفاعلية والتأثير والإيقاع المؤثر في النفس .*

لقد اتكأ الشاعر على تلوين الخطاب لصور شعرية مجتمعية لها الأثر النفسي المهم، فضلاً عن أنَّها تمتلك القدرة على الإقناع والتأثير إذ يحمل المتلقي استرجاع المعنى الظاهري الذي يحيله إلى معنى أعمق في ذلك المجتمع.

إذ نلمس التأثر والتأثير في النصّ الشعري إقناعاً للمتلقي؛ إذ جلي الجواهري متفاعلا مع التجربة الوجدانية بصدق وحرارة، وذلك لكون القصيدة نابعة من الأحاسيس والأحداث المرتبطة بواقع الشاعر

وملازمة له، عن طريق مشاعر الألم والحزن التي تولد حرارة التعبير، وتنتج قصائد تخاطب مشاعر المرأة، وتؤثر في المتلقي وتقنعه، والشاعر بذلك كان له الدور في تأكيد مضامين الحدث المؤثر في نفسه وقلبه شعرا.

لاشك إن تلوين الخطاب للصور الشعرية لدى الجواهري، كانت تتمحور حول قضايا تكتنز بهموم جماعية، يحاول الجواهري تسليط الضوء عليها، ولكن بطريقة غير مباشرة، كي لا يفقدها التأثير في المتلقي.التي تضم ببنيتها العميقة أنساقا مضمرة، تمثل نظرته للمجتمع الجمعي بما يحمله من ثقافات متنوعة ومتضادة، ليكشف عن ثورة صارخة، حاول إفراغها في صور إيحائية عميقة، تملأ جوانحه و مشاعره من الواقع البيئي، الذي أذاق المرأة شتى أنواع الظلم والاضطهاد.

ونخلص مما تقدم أن تلوين الخطاب في النصّ الشعري ببعده الإقناعي، هو نصّ يحدد فيه ما يختلج في نفس الجواهري من مشاعر أراد تقريبها، ليجسد الصورة الذهنية التي تسكن في مخيلته لإقناع المتلقي، بما يعتمده من أمثلة حسّية توضيحية، تضمن له استدعاء وحسن ترتيب الأفكار الموصولة بعضها ببعض الآخر، والانتقال من فكرة إلى أخرى، وذلك عبر آلية القدرة على توظيف تلوين الخطاب لبعض الصور الشعرية والتكرار، الذي يعرض فيهما الجواهري وجهة نظره لغرض أن يقنع به الآخر ولتكون مدخلاً ناجحاً إلى الموضوع.

النتائج

بعد جولة ليست بالقصيرة مع الجواهري في الكشف عن ملامح تشكيل خطاب المرأة، ليتسنى لنا الإمساك بحقيقة الإبداع، التي يتمتع به النصّ الشعري على وفق معايير فنية جمالية، أدت وظيفة دلالية سعى الشاعر إيصالها إلى المتلقي، وذلك بحسب منطلقاته الفكرية والثقافية والعاطفية، وتنوّع الآلية واختلاف الأداء في إقناع المتلقي، الذي تموضع في شعره، وفي خضم ذلك ظهرت نتائج كثيرة ذكرنا جزء منها في نهاية كُلِّ مبحثٍ من كل فصل، ويمكننا أن نسجل نتائج هذه الجولة قدر ما استقربنا من شعره بشفافية وصدق.

- إذ إن هذه الدراسة طمحت بالنظر إلى النصّ الشعري عند الجواهري على أنه كلٌ متكامل، يعاضد بعضه بعضاً، وأن عُرض جزأ في هذه الدراسة، وذلك نزولاً على مقتضيات البحث العلمي، ومع ذلك فإنه يأتي كوحدة بنائية متكاملة من الناحية الفنية، يكسبه السياق تلاحماً عضوياً بارزاً، تتعاضد فيه منظومة من العلاقات الترابطية الجمالية، على وفق رؤية الشاعر الإبداعية المترجمة باللغة الشعرية أثرها في إظهار جمالية النصّ الشعري.
- رُسمت حركة الخطاب في المنجزِ الشعريِ للجواهري، الخروج عن التقاليد المهيمنة التي تنمّ عن حركة متنامية داخل فضاء النصّ الشعري، التي تتجسد في تلوّن الدلالات وتعددها، لتعكس أبعاد رؤية الإقناع حيال موضوع ما ضمن علاقته بواقعه، مؤدية وظيفة دلالية ، أكدت حضور المرأة وقدرتها في التعبير عن إحساسها ومشاعرها بحسب أولوية التعبير في القدرة على الإظهار والإضمار؛ لخلق منظومة داخلية، تتمتع بحركية إبداعية متنامية داخل النصّ الشعري، تتناسب مع صور الواقع وحضور العاطفة.

الهوامش:

(1) يُنظر: الشعر الحر خارج الوطن، صفاء عبيد الحفيظ: القاهرة – مصر، ط1، 2016م: 26.

(2) هو الغاية المتحققة المتمثلة بأساليب مختلفة يحاول فيه المتكلّم التأثير في أفكـــار الآخـــرين ومعتقـــداتهم وسلوكهم. يُـــنظر : في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربيـــة، الخطابة في القرن الأول أنموذجا، محمد العمري، أفريقيا الـــشرق ــ المغـــرب، ط2، 2002م: 34. ويُنظر: بلاغة الإقناع في الخطاب النقدي القديم، د. صلاح حسن حاوي، الـــشركة العربيـــة المتحـــدة للتسويق والتوريدات، القاهرة – مصر، ط1، 2016م :53 .

(3)يُنظر: بلاغة الخطاب الإقناعي، نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب: د. حسن المودن، كنوز المعرفة، ط1، 2014م: 22.

(4):يُنظر:النص الحجاجي العربي: محمد العبد،44.

(5):يُنظر: الاستعارات التصورية وتحليل الخطاب السياسي: د. محمـــد البـــوعمراني، دار كنـــوز المعرفـــة العلمية، ط1، 2015م :89.

(6) يُنظر: المصدر نفسه :89.

(7)يُنظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر : د. محمد سالم الآمين، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2008م: 53.

(8):يُنظر: الحجاج في الشعر العربي – بنيته وأساليبه، سامية البديري.عالم الكتب الجديد، اربـــد – الاردن، ط2 – 2011م: 88 .

(9):يُنظر: إسهامات أرسطو في مسألة التواصل الفني: احمد الطابعي، التواصل نظريات وتطبيقات، الكتـــاب الثالث، سلسلة فكر ونقد، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2010م: 206 – 207 .

(10):المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للعلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطى، شرحه وضبطه: محمـــد جاد المولى، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد التجاوي، منشورات المكتبة العـــصرية، صـــيدا – بيروت، (د.ط)،ج2، 1986م : 258.

(11): يُنظر: إسهامات أرسطو في مسألة التواصل الفني: احمد الطايعي، ع88: 206– 207 .

(12): يُنظر:قضايا الشعر المعاصر : نازك الملائكة ، ط1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1989م: 277

(13):ديوان الجواهري: مج2: 47.

(14):ديوان الجواهري: مج4: 13 وما بعدها

(15)ديوان الجواهري: مج4: 327.

(16):المتخيل السردي (مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة): عبـــد الله إبـــراهيم، الـــدار البيـــضاء، المغرب – بيروت_ لبنان، ط1، 1990م:80 .

(17):ديوان الجواهري: مج4/ 85_ 86.

(18) يُنظر: ديوان الجواهري على التوالي: مج1/213، مج2/115، مج3/95،مـــج3/207، مـــج3/219، مج3/229، مج3/ 311، مج3/397،مج4/31، مج4/73،مج4/ 141، مـــج4/195، مـــج4/203، مج4/249، مج5/107، مج5/119، مج5/ 255، مج5/311.

(19):يُنظر: اطروحة الدكتوراه(خصائص الاسلوب في شعر الجواهري) : فارس عزيـــز مـــسلم، جامعـــة بابل،2008م:2.54):ديوان الجواهري: مج5/ 349.

CONFLICT OF INTERESTS
There are no conflicts of interest

مصادر البحث:

1. الشعر الحر خارج الوطن، صفاء عبيد الحفيظ: القاهرة – مصر، ط1، 2016م.
2. في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول أنموذجا، محمد العمري، أفريقيا الشرق – المغرب، ط2، 2002م.
3. بلاغة الإقناع في الخطاب النقدي القديم، د. صلاح حسن حاوي، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، القاهرة –مصر، ط1، 2016م.
4. بلاغة الخطاب الإقناعي، نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب: د. حسن المودن، كنوز المعرفة، ط1، 2014م
5. الاستعارات التصورية وتحليل الخطاب السياسي: د. محمد البوعمراني، دار كنوز المعرفة العلمية، ط1، 2015م .
6. الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر : د. محمد سالم الآمين، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2008م.
7. الحجاج في الشعر العربي–بنيته وأساليبه، سامية البديري.عالم الكتب الجديد، اربد – الاردن، ط2– 2011م.
8. إسهامات أرسطو في مسألة التواصل الفني: احمد الطابعي، التواصل نظريات وتطبيقات، الكتاب الثالث، سلسلة فكرونقد، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2010م.
9. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للعلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطى ، شرحه وضبطه :محمد جاد المولى، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد التجاوي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا– بيروت، (د.ط)،ج2، 1986م.
10. قضايا الشعر المعاصر: نازك الملائكة ، ط1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1989م.
11. ديوان الجواهري: محمد مهدي الجواهري، دار بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت ط1، 2000م.
12. المتخيل السردي (مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة): عبد الله إبراهيم، الدار البيضاء، المغرب – بيروت_ لبنان، ط1، 1990م:80 .
13. خصائص الاسلوب في شعر الجواهري : فارس عزيز مسلم، جامعة بابل،2008م.
14. النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع : محمد العبد، مجلة فصول، الهيئة المصرية للكتاب مصر، ع60، 2002م.